

المجاملات والشلية تصيبان الكوميديا التونسية في مقتل

شهد الموسم الرمضاني المنقضي في تونس، شحا غير مسبوق على مستوى الأعمال الكوميدية، حيث لم تتجاوز مجتمعة عدد أصابع اليد الواحدة رغم تعدد القنوات التي جاوزت عشرين فضائيات بين العمومية والخاصة، كما عرفت جميعها ضعفا فادحا على مستوى النص، علاوة على هشاشة الكاستينغ الذي اعتمد في غالبيته على المحاباة والشلية، مما أضعف المنتج بشكل عام.

الشهير بميقالو، وشقيقه سليم، علاوة على جل الفاعلين سواء في البرامج الإذاعية أو التلفزيونية لمقدمي البرامج أمين قارة وجعفر القاسمي المشاركين أيضا في السلسلة.

وهذه الشلية لم تقتصر على الأعمال الكوميدية فقط في رمضان تونس المنقضي، بل شمل أيضا المسلسلات الاجتماعية كما هو الحال مع مسلسل "نوبة" في جزئه الثاني، الذي ضم في كتابته السيناريو كلا من عبد الحميد بوشناق وهالة عياد وباسمين ديماسي وعزيز الجبالي وجهاد الشارني في تنمة للفريق الذي كتب الجزء الأول من المسلسل في رمضان 2019.

صناعة الضحك في تونس باتت مع انتشار برامج «التوك شو»، تحكّمها الشلية التي أحالت المنتج إلى بضاعة مستهلكة

وإن كان هذا التواصل مبررا في "نوبة" بوشناق، على اعتبار تمكن طاقمه من ليات كتابة السيناريو التي أشاد بها الجمهور والنقاد على حد سواء، فإن التمثيل أصاب بعض مفاصل الجزء الثاني من المسلسل، مما أربك سير الأحداث كما ضاع الخيط الرابط بينها مع تعدد الشخصيات المركبة والمرعبة للمشاهد الذي وجد نفسه أمام كتابة مسرحية مبهمّة أكثر منها دراما تلفزيونية شعبية تلامس واقعه وإن بشيء من الحنين إلى الماضي.

و«شلة» البرنامج الواحد والقناة الواحدة لم تغب دورها عن طاقم عمل المسلسل التاريخي «قلب الذيب» الذي أخرجه بسام الحمراوي في أولى تجاربه التلفزيونية، حيث أباح لنفسه الاعتماد على ممثلين هواة على غرار أمين ليمان وخاصة خولة السليمان التي أتت دورها غير متنسق بالشخصية وبيئتها، فبدت امرأة من أربيعينات القرن الماضي بملاحق فساتين اللافية الثالثة، ولم يقتصر دور سليمان في المسلسل على التمثيل فقط.

بل تجاوزه إلى الإنتاج فكان العمل هزليا من حيث الديكور والملابس والكاستينغ الذي تحكّم فيه مرة أخرى منطق الصداقات والمجاملات، ليتمثل العمل سقطة للدراما التونسية في الموسم الرمضاني المنقضي، إلى جانب مسلسل "27" ليسري بوعصيدة الذي تولّى بنفسه إخراج وإنتاج وكتابة سيناريو العمل والتمثيل فيه أيضا.

وهذه الشلية المرئية ليست بجديدة على الدراما التونسية وخاصة الكوميدية منها، فنجح كوميديا الثمانينات وحتى بداية الألفية الجديدة، لمن النهدي، اتوى بنارها في سلسلة "الزميل" التي جمعتة بنجلية محمد علي ووليد وابن أخيه رياض إلى جانب مجموعة من أصدقاء لمن النهدي المقرّبين، فسقط نجم الكوميديا التونسية من عيانه عبر نص ضعيف شارك في كتابته مع كمال المولهي إضافة إلى إخراج باهت لعبد القادر الجبري الذي منح بدوره دور البطولة النسائية لابنته مثال.



استسهال النجاح يقود إلى الفشل

صابر بن عامر
صحافي تونسي

تونس - أربعة أعمال كوميدية فقط هي حصيلة الموسم الدرامي الرمضاني المنقضي بتونس، توزعت بين سيتكومي: "حجر صحي" و"دنيا أخرى 4"، واثنين آخرين ضمن ما يُصطلح على تسميته بالإنيميشن وفق تقنية ثلاثية الأبعاد وهما "تونس 2050" و"ولاد بحر".

أعمال لم ترتق في مجملها إلى تطلعات الجمهور التونسي الذي لم يجد فيها ما يسلي عنه في زمن الحجر الصحي الجماعي الذي فرض على البلد إثر تفشي فايروس كورونا في رمضان المنقضي، وما يتطلبه الوضع من بحث وابتكار في مضامين ضحك جديدة تتواءم والمزاج العام المشوب بالغموض والإحباط حينها.

لم تتمكّن جل الأعمال المقدّمة على قلّتها من القطع مع ما تعود المشاهد التونسي متابعتها في برامج "التوك شو" التي تسعى، أو بالأحرى تدعي، تقديم مادة مرحة على مدار العام في أكثر من قناة خاصة، فتسقط في الإسفاف والإبتذال.

وهو ما انتسحب على الكوميديا المقدّمة في رمضان المنقضي والتي استمرّت صناعتها نجاح بعض هذه البرامج، ولو بنسب متفاوتة، ليعيدوا لاستنساخها بشكل مبتذل في سيتكومات وسلسلات تحريك خاوية من نص منمأسك أساسه كوميديا الموقف، لا التهريج وافتعال الضحك المجاني.

وجاءت جل النصوص، إن لم نقل كلها، إعادات لبعض التفريدات الفيديوية التي أبدع المواطن التونسي تدوينها على الموقع الاجتماعي الأكثر متابعة بالبلد، كنوع من التعبير الساخط الممزوج بالسخرية إلى ما آلت إليه أوضاع تونس من هشاشة اقتصادية غير مسبوقة، فأعاد صناع الكوميديا إنتاجها في شكل سيتكومي أو مسلسل تحريك أبطاله نجوم برامج "التوك شو" أمثال بسام الحمراوي وكريم الغري وسامية الطرابلسي في "دنيا أخرى 4"، أو سعدي الزيداني وسفيان الدايش ووليد الزين في "حجر صحي".

أما سلسلة "ولاد بحر" التي بثّته قناة "تسمة" الخاصة، فلا يمكن تصنيفه بأي شكل من الأشكال في خانة المسلسلات الكوميدية، فرغم اعتماده على طاقم عمل سبق له النجاح في سيتكومي "نسبتي العزيزة" بمواسمه الثمانية على غرار خالد بوزيد وسفيان الدايش ولطيفة القفصبي، إلا أن نصه الذي كتبه كل من خليل وعيشة مكاي أتى إسقاطا لواقع عالم الأرض على سكان البحر من الأسماك دون أي جديد يُذكر.

ومن هناك كانت المحاباة والمجاملة العنوان الأبرز لكوميديا رمضان 2020 بتونس، فغابت أسماء كوميدية كانت لسنوات مضت فاعلة في المشهد الدرامي التونسي، على غرار كمال التواتي ولطفي العبدلي وتوفيق الغري وريم الزريبي وأمال الكوش والقائمة تطول، لتعوضها "شلة" البرنامج الواحد الذي ظهر بشكل مفضوح في سيتكومي "تونس 2050" الذي ضمّ في جزئه الخامس وسيم الحريصي

الميرغني وأسامة يتعثران في أول بطولة تلفزيونية مطلقة

«اتنين في الصندوق» دراما كوميدية تسقط في فخ التمر



تحقق الأمل من خلال الصدفة فقط

ويمثل العمل ثاني محاولة في المجال الدرامي التي تنطرق إلى مجتمع الزباليين بعد فيلم "انتبهوا أيها السادة" لحسين فهمي ومحمود يس، ما فتح المجال للمقارنة بينهما والتي كانت في صالح السينما بقصتها الأكثر منطقية حول "عامل قمامة" يقع في حب ابنة محام كبير من سكان إحدى القرارات التي يقوم بتخليطها، فيتقدم لخطبتها معتقدا أنها خادمة قبل أن يتعرض للإهانة والطرده، فيقرر الانتقام بطريقته الخاصة بعد أن يصبح ثريا من نشاطه في التجارة بالمواد الخام المهمة والعقارات.

ويقول الناقد أندرو عادل، إن الميزة التي تضمنها المسلسل هي الاعتماد بشكل كامل على السيناريو والإخراج دون الخلطة الدارجة التي تعتمد على الارتجال، والقدرة الذاتية مثل خفة الدم وقبوله جماهريا.

المسلسل يظل محاولة جيدة للهروب من سطحية الأعمال الكوميدية باحتوائه مسحة اجتماعية، رغم السقطات التي يضمها

وتواجه المسلسلات التي تجمع بين الكوميديا والدراما أزمة في مواجهة عزوف الجماهير مع انخفاض مساحات الضحك، فنوعية المشاهدين التي تقبل عليها تريد للتعرف من الضغوط والمشكلات، وتتعرض لصدمة وإحباط حينما تنتقل الأحداث نحو التأميم والمأساوية كما حدث في "اتنين في الصندوق" الذي مال إلى التعقيد مع هروب عاملي النظافة خوفا من الاتهام في قضية مخدرات.

ويتضمن العمل قدرا من الصراع المتعدد بين شيوخ الزباليين من ناحية، وبين ممدو وبدير الحديد الذي تخصص في كتابة مقالات ضد "زمبيري" ومحاولات نشرائه المستمرة بالأموال، وصولا في النهاية إلى ثورة شعبية نخّته من السلطة لا تحمل من دلالات إسقاطية بتحريك الجماهير إلا بتوجيه من الخارج وليس من الداخل.

ويضيف أندرو عادل لـ "العرب"، أن العمل لم يحقق نجاحا جماهريا كبيرا في عرضه الأول، لكنه مقبول على مستوى القصة والإخراج، ويمكن اعتباره من أفضل الأعمال الكوميدية التي تم عرضها مؤخرا. ويظل مسلسل "اتنين في الصندوق"، رغم السقطات التي يضمها محاولة استكشافية للهروب من سطحية الأعمال الكوميدية في العقد الأخير، بمنحها مسحة اجتماعية، لكنه لم يخل من الاستسهال في الصنعة واستدراج الضحك بلا حرفة عالية.

بدلا منها، وهي لغة كانت دارجة منذ الخمسينات وانزوت باعتبارها تمثل مخاطرة كبيرة، فإما أن يكون مضحكا أو يحمل قدرا من الشناز السلمي والاستياء لدى الجمهور.

وفقد السيناريو بوصلته كثيرا في الزجّ بشخصية الرئيس ممدو في الحلقات الأولى من المسلسل دون توظيفها في الأحداث، إلا في الحلقة 23، وظل دورها مقتصر على أنه ينوي النزول إلى القاهرة للبحث عن التوام المفقود، وعدم القدرة على إدارة دفة الحوار بعد التغيرات التي انتابت حياتها ومعرفتها بانها ابنة رئيس ومرشحان لتولي دفة الأمور في بلدهما الأصلية "الديكتاتورية" التي يخطط حاكمها للزجّ بأحدهما في مراكب السياسة لمنع خروج الحكم عن العاطلة.

ولم يجنح المسلسل كثيرا في استغلال عنصر المفاجأة في المقفولين فبمجرد معرفة ممدو من خادمته بوجود طفلين له في القاهرة جعل المخرج اللقطة التالية على زيكا وشوقا مقدما العقدة في لحظتها، ولم يجسن أيضا اللعب على أوتار المعركة الانتخابية لرابطة الزباليين، ومنحها إسقاطات على الواقع أكثر ثراء بجعلها مقتصرة على مشكلات مجتمع جامعي القمامة فقط دون المجتمع بشكل عام فما يعانون منه ليس مقتصر عليهم ويشمل عشرات المهن الأخرى.

وربما كان بيومي فؤاد الممثل الوحيد الخاسر من مشاركته في العمل، فشخصيته فرضت عليه أداء نمطيا للغاية والزائم بالفصحي أفقده قدرته المعتادة على الإضحاك، وحافظ طوال العمل على ضحكة صاخبة ومكثرة ليس لها هدف سوى محاولة إقناع الجمهور بأنه دكتاتور شرير يبلّذ بعباد شعبه.

ضحك مفتعل

يحمل العمل مساحات كبيرة من التمثيل والتكرار لمدة 16 حلقة كاملة، فمنذ الحلقة الخامسة فقد قدرته على الإضحاك وتم الزجّ بشخصيتين ليس لهما سياق في الأحداث، بهدف التطويل كالمحسن عز بنكت مفتعلة وعلاقاته شديدة الغرابة بحبيبته، والراقصة سونيا التي تبدو شخصيتها دخيلة على القصة.

ويحمل المسلسل نوعا من الذكاء في الدفع بنجوم الكوميديا من جيل الشيوخ لدعم الجرعات الأدائية مثل صلاح عبدالله (الريس حربي) وعبدالله مشرف (عم رزة) اللذين كانا أكثر الشخصيات إضحاكا وأداء دراميا في الوقت ذاته، بطريقتهما المعتادة لاستخدام لغة الجسد المتماشية مع الموقف دون افتعال، والتي تساعد أي مخرج على توصيل المعنى المطلوب بسهولة.

يمثل مسلسل "اتنين في الصندوق" محاولة لإعادة اكتشاف مجتمع جامعي القمامة بتناول كوميدي، لكنه وقع في فخ التعامل الطبقي مع فئة مظلومة اجتماعيا، وساهم في زيادة التمر عليها بدلا من إنصافها، وصادر حق العاملين فيها بتحقيق أحلامهم بأيديهم وجعلها مقترنة بتدخلات القدر.

بتنحية منطقية الأحداث جانبا من أجل الضحك، فلا يعقل في مجتمع تقليدي يقوم على الطبقية أن تقع خلاله المعلمة الجميلة المنتمة إلى الطبقة فوق المتوسطة في عشق عامل النظافة غير الوسيم الذي يطرق بابها يوميا ليحمل مخلفاتها.

تقسيمات معتادة

تمتد عدم المنطقية بعلاقة الراقصة سونيا وعبيده ممدو، رئيس دولة زمبيري، الذي، فالراقصة تفتل حبالها من أجل أن يتزوجها قبل تحقيق رغبته في معاشرتها، وتساومه رغم وجود عشرات البدائل لنزواته.

وتكرّر الأمر مع عجز الكلاب البوليسية في اكتشاف المخدرات التي تم وضعها أعلى عربة القمامة لزيكا وشوقا وكانت سببا في هروبها إلى المغرب باعتبارها أن الجهات الأمنية ستلقي القبض عليها.

يحمل المسلسل نوعا من التمر الطبقي ليس في التقسيمات المعتادة للطبقات ولكن داخل طبقة الفقراء

دون معالجة نقدية لها، فعامل النظافة "الزبال" يرى نفسه أفضل من "الفرّاش" (صانع القهوة والشاي) باعتبار أن غيابه يحمل تأثيرا اجتماعيا بتوقف حياة البشر وتعريض حياتهم الصحية للخطر، على عكس العامل الذي يمكن لأي شخص القيام بدوره، أو تنمر "الزبال" و"الفرّاش" على "الغطاس" (مهنة الغطس في آبار الصرف الصحي لتخليطها) والتي تعتبر مهنة مقزّرة.

وأثار العمل غضبا في قطاع العاملين بمهنة جمع القمامة التي تتضمن أثرياء في العالم الحقيقي يعيش بعضهم في قصور، بسبب إهانات متعمدة لهم في مشاهد متعددة للعمل، وأشهرها مقولة شوقا لحبيبته نونة، "بالرغم من أن أبوكي زبال بس إنتي متربية كويس" (رغم أن والدك عامل قمامة لكن تربيتك جيدة).

وكانت اللغة التي تحدّث بها رئيس زمبيري ونائبه هجينا مشوّها بين العربية والفصحى لم يقتنع الجمهور بأنهما يمثلان دولة أفريقية، مع شعور يتسرّب إلى المشاهد بعجز السيناريو عن إيجاد بعض الكلمات فيزج بالفاظ دارجة

محمد عبدالمهدي
كاتب مصري

يصعب توصيف المسلسل المصري "اتنين (اتنان) في الصندوق" كعمل كوميدي أو اجتماعي فهو خليط بينهما، تطغى الدراما داخله أحيانا على الضحك، وتارة يصدر بالنكت التي تتراوح بين الضحك والسخافة، في محاولة من مؤلفه للتنازل على جفاف صناعة النكتة، والهروب من أسلوب الاستكشاك الذي يلقي انتقادات واسعة.

ويتناول العمل الذي يمثل البطولة الأولى للفتنانين حمدي الميرغني وأسامة الشهير بأوس أوس، بعيدا عن باقي زملائهما في فرقة "مسرح مصر"، حياة عاملي نظافة لديهما مجموعة من الأعلام بتغيير واقعهما نحو الأفضل، فأحدهما زيكا، يريد أن يصبح مغنيا، والآخر شوقا يتمنى أن يكون ممثلا شهيرا، لكنهما في النهاية يفتقران لأي موهبة فنية تمكنهما من تحقيق طموحهما في الحياة.

العمل من تأليف لؤي علي وإخراج محمد مصطفى، يمتلك خطوطا درامية جيدة كانت كفيلة بوضعه في مكانة خاصة مختلفة عن باقي الأعمال مع استشفاف رسالة قوية يسعى لتقديمها تتعلق بحق كل البشر في الأعلام بواقع أفضل أيا كانت مهنتهم أو أعمارهم أو مستواهم الاجتماعي، وبدلا من التركيز عليها يجعلها نابعة من الشخص ذاته وكفاحه وجهده جعل التغيير قديرا وإعجازيا باكتشاف زيكا وشوقا أن أبيهما الحقيقي رئيس دولة، وجاء نتيجة علاقة أئمة مع خادمته، التي فضلت تهريبها إلى مصر حتى لا يتعرّضا للقتل.

ويمثل العمل امتدادا لمشكلة في صناعة الدراما الكوميدية تتعلق

